



كتبه: الشيخ أبو قتادة الفلسطيني

الجهاد

بين مواقف الصابرين وتخذيّل المنافقين

والعطاء مع البلاء، واليقين مع غياب معالم النصر والغلبة، كل هذا يجعل المنافقين يقولون: ﴿عَزَّ هُوَ لَاءِ دِيْنِهِمْ﴾، ولو لم نعش هذا الزمان لكانت هذه الكلمات مجرد معاني ذهنية فقط، لكننا اليوم نراها بحق رأي العين، فهذا هو شأن الأمة مع الجهاد، تعيش فيه كما أمر الله، وهو يحقق الخير العظيم الذي يحبه الله تعالى، مع المحن والقتل والبلاء وغياب معالم التقدم والنصر إلا لمن كان له بصير الحذق والعبرة بحوادث التاريخ ..

لقد كان الجهاد له عنوان واحد ومكان واحد، وكان بعيداً عن الناس، يشدون إليه الرجال من بعد، وكان تصور خصومه أنه سهل المنال، يمكن أن يقضى عليه، وقد ظنوا أنهم استطاعوا عزله عن الأمة من خلال جماعات ينتسبون إليه فقط دون بقية الناس، ولكنهم خابوا وخسروا، فها هو الجهاد هو حالة الأمة في المشرق والمغرب، وها هو يخرج عن كونه حالة جماعة تنتسب إليه دون بقية الناس ليكون روحاً يسري في شباب الإسلام ورجاله وشيوخه، يعيشه عربهم وعجمهم، ومشرقهم ومغربهم، وهذا كله من نعم الله تعالى ..

والأمة بعد طول سنين من الهوان والخنوع تنتفض لتقوم لمهامها ضد أعدائها، تنكي فيهم، وتنتصف منهم، وهم يألمون كما كنا دوماً نتألم ونتعذب، لكن المعادلة اليوم قد اختلفت بفضل الله تعالى، فقد وصلنا إلى حالة تعادل الألم، يألمون كما نألم، لكننا نرجو من الله تعالى النصر والشهادة ما لا يرجون، وذلك بفضل الله علينا ونعمه ..

وفي وسطنا من المنافقين من لا يرون إلا الرعد والبرق وغياب معالم النصر والخروج من الألم، ولا ينظرون إلى ما كنا عليه

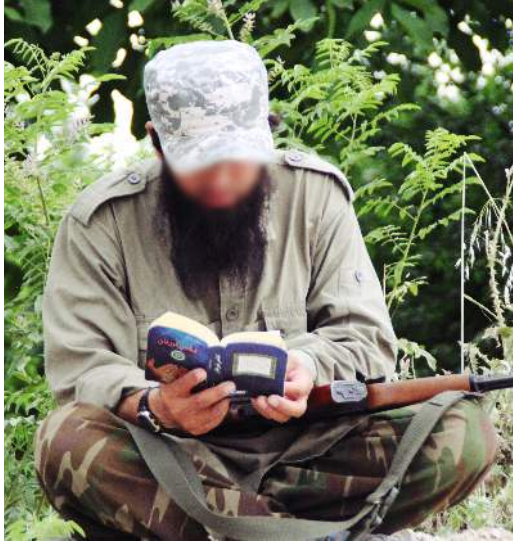
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد:

فقد عرضت سورة البقرة أوصاف المؤمنين في آيات، ثم عرضت صورة الكافرين، ثم فصلت في صور وأحوال المنافقين، فكان من خصالهم ما قاله تعالى فيهم: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُجِيبٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ..

فشرعه جل في علاه هو الصيب النافع العظيم الكريم، وهذا الشرع لا يخلو من ابتلاء وفتنة، هما في هذا الشرع كالظلمة والرعد والبرق، وشأن الظلمة في الشرع فتنة عدم العلم بالعاقبة كما لم يعلم الصحابة عاقبة صلح الحديبية، وشأن الرعد والبرق كشأن الفتن والابتلاءات في النفس والمال والبدن، فهذه كلها من مرافقات الشرع العظيم، والذي هو ماء الحياة التي لا تكون إلا به، فإن فقدت الموت، إذ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت، ولما تعلم أن هذه الصفات للمنافقين هي ما شرحت في كل القرآن عنهم، فهي كالإجمال لما فصل من صفاتهم وأخلاقهم وأحوالهم، ثم تدبر ما هو الشرع الذي فضحهم في كونهم على هذه المعاني، وما هو الدين الذي أبان هذه الخلة من ترك الصيب ومنافعه، وعدم الإلتفات للخير فيه، والتعلق بما فيه من ابتلاءات وفتن ومحن رأيت أن كاشفهم الأعظم لهذا إنما هو الجهاد في سبيل الله تعالى ..

فالجهاد في سبيل الله تعالى هو من أعظم ما يحقق هذا الوصف للصيب النافع، إذ ترتفق فيه النعمة مع الفتنة.



وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، وعالمهم وجاهلهم عن شؤون الجهاد، وما فيه من آلام وحوادث وأخطاء هم منافقون ولا شك في هذا بنص القرآن الكريم، إذ الواجب هو مذاكرة هذا مع أهله ممن هم يأخذونه على معناه الصحيح، وبذهبون به مذهب الإصلاح لا التخريب والتخذييل ..

هذه الأحوال التي يعيشها الجهاد لو رآها من عاشوا قبل سنين لغبطونا عليها، ولو نظروا فيها لآلامنا لجزنوا علينا، فهما معنيان حاضران، يأخذ منهما المسلم ثقة بالله أن الله ناصر هذا الجهاد، وأنه لن ينتصر إلا بالله وحده، وما نحن إلا مجرد أوام فارغة لا نملك مع هذا الدين إلا أن نثبت حتى نلقى الله تعالى فتقر أعيننا برؤية وجهه الكريم برحمته، كما أنه يأخذ منهما عبادة الدعاء والإلتجاء له وحده، فمثل هذه الأحوال التي لا مخرج منها لثقلها إلا بمعونة الله وحده، يدعو المرء ربه في كل لحظة دعاء يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ودعاء ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

هذه هي أسواق الإيمان قد قامت، يسبق فيها أقوام، فيذهبون لجنة الرضوان، ويرتكس فيها آخرون لم يفهموا منها إلا كما ينظر الجاهل الغافل حتى تفوته، ولات حين مندم ..

فالصبر الصبر، والثقة بالله، والبصيرة بما ترى من عين الله التي تحف كل هذا العطاء بهذا البلاء، والتي تدل _ أي: الفتنة بعظمتها _ أن ورآها الخير العظيم والنصر الكبير ..

لقد سارت ركائب الجهاد ولن يقدر على إيقافها أحد، فهنيئاً لمن أتاها، وكان من أهلها، وتعبساً لمن لم ير فيها إلا كما يرى المنافق في الصيب العميم العظيم .

والحمد لله رب العالمين

قبل سنين وما صرنا إليه، ولو رأوا بعين البصيرة لعلموا فضل جماعات الجهاد عليهم، فهي وحدها بفضل الله تعالى من حملت مشعل الخير للمسلمين، وهي بفضل الله وحدها من وضعت الأمة على سبيل الخير والهداية والانتصاف من ظالمها والقيام على طواغيتها ..

لم يعد الجهاد خياراً بين البدائل نذهب إليه بعد أن سدت الطرق الأخرى، بل صار يذهب إليه لأنه عبادة لله، ومنهج الأنبياء، وسبيل النصر دون سواه، ولأنه هو من يحقق الشهادة التي يتوق إليها شباب الإسلام ..

هذا الصيب العظيم النافع هو وحده من أزال حدود الجاهلية، فصرت ترى المسلمين من المشرق والمغرب تجمعهم ساحات الجهاد، ويؤدون عبادة الله فيه كأنهم الحجيج، لا فرق بينهم، فهم تقطعت صنائع الطواغيت، وهم تحققت معاني الأخوة الإيمانية ..

إنه الجهاد الذي أتى بالشباب حتى لا يموتوا على أبواب المواخير، ولا على شواطئ العار رحيلاً من أجل الحياة الذليلة إلى مواطن العز والشهادة وتحقيق الوعود الإلهية الجليلة ..

وهؤلاء الذي يعيبون على الجهاد أنه يخرب أموالهم واقتصادهم، هؤلاء هم أهل الترف ممن حذر القرآن منهم، وهؤلاء الذين لا يحبون الجهاد لأنهم يكرهون الموت هم كأخوانهم المنافقين ممن قال الله فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مَّتَّكُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِرَبِّ اللَّهِ تَحْسُرُونَ (١٥٨)﴾ ..

هذا هو جواب القرآن لهم، يقول لهم الموت في سبيل الله ومغفرته بطاعتكم له خير مما يجمع أهل المال والمتاع والدينا، وكذلك يقول لهم بأن الذين يهربون من الجهاد خوف الموت سيموتون حتى وهم في حجورهم وبيوتهم وعلى سررهم ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ وتأمل قوله جل في علاه وهو رب العالمين: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ ولم يقل الموت، بل هو القتل، وهذا هو شأن الجبناء من مقابلة أعدائهم، يقتلونهم في مضاجعهم، وشتان بين من يقتل مقبلاً على الله تعالى، ومن يقتل ذليلاً مهاناً في مضجعه ..

هذا كله ليعلم الناس أنه من النفاق العظيم أن ينشط المرء لذكر مثالب المجاهدين، فإنه وإن بدا للناس بثوب الناصح، أو الناقد ليصحح إلا أن حقيقته هو التخذييل ونشر السوء، والله يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهَيُولَىٰ رُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهؤلاء الذين يتحدثون علناً وللناس جميعاً مسلمة